

المتن

المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه."

الشرح

طيب كيف الإيراد من أهل التعطيل؟ يقولون: إن ظاهر الحديث أن الله يكون سمع الإنسان وبصره ويده ورجله فهل تقولون بذلك؟ طبعاً لا. إذن يقولون: صرفتموه عن ظاهره. المثال الحادي عشر يعني مما أورده أهل التعطيل على أهل السنة وقالوا: إنكم خرجتم به عن ظاهره فلماذا تخرجون هذه النصوص عن ظاهرها ثم تُنكرون علينا إخراج النصوص الأخرى عن ظاهرها؟ قوله تعالى في الحديث القدسي "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" أول هذا الحديث "ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضته عليه و ما زال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه". ظاهر هذا الحديث عند أهل التعطيل أن الله - عز وجل - إذا أحب هذا الشخص كان سمعه وبصره ويده ورجله. هذا ظاهره عند أهل التعطيل. يقولون: فهل تقولون يامعشر أهل السنة: إن الله تعالى يكون قدم الإنسان المحبوب؟ ورجل الإنسان المحبوب؟ وسمع الإنسان المحبوب؟ وبصر الإنسان المحبوب؟ نقول لهم: لا. يقولون: إذن أخرجتم الحديث عن ظاهره لأن ظاهره "كنت سمعه" يعني

يكون الله هو نفس سمع الإنسان نفس بصر الإنسان نفس رجل الإنسان ونفس يد الإنسان. هذا ظاهر الحديث عندهم ونحن نقول بهذا ولا لأ؟ لا نقول بهذا. لا نقول إن الله هو يد الإنسان ولا رجل الإنسان ولا سمع الإنسان ولا بصره. ولهذا نقول الجواب.

المتن

والجواب: أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق: 186.

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته. ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

الشرح

يدعي أهل التعطيل أن هذا هو الظاهر، وأن صرفه عن هذا تأويل لا يجوز أن يذهب إليه الإنسان وهو يُنكر على أهل التأويل.

المتن

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

الشرح

أيها الظاهر؟ الثاني هو الظاهر قطعاً فعني كُنْتُ سمعته: يعني أُسَدِدُ سمعَهُ حتى يكون بالله وفي الله والله. بصره: كذلك يُسَدِّدُه في بصره حتى يكون بصره في الله والله وبالله. يده: يَسُدُّ بطنه بيده وعمله بيده حتى يكون لله وبالله وفي الله. رجلاه: يَسُدُّه في مشيه بحيث يكون مشيه لله وفي الله وبالله.

واضح يا جماعة يعني معناه التسديد بلا شك. لكن ما معنى قولنا: الله وبالله وفي الله؟ **الله**:- هذا الإخلاص حتى لا يسمع إلا سمعاً يتقربُ به إلى الله ولا يُبَصِّرُ إلا كذلك ولا يمشي إلا كذلك ولا يبطش إلا كذلك.

بالله:- أي الاستعانة يعني أنه لا يعتدُّ بنفسه ويعتمدُ عليها وإنما يستعينُ بالله. **في الله**: في شرعه يعني لا يتجاوز الشرع فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه بل يكون عمله خالصاً موافقاً لشريعة الله على وجه الاستعانة به.

هذا هو الفرق بين العبارات الثلاثة.

الله: أي خالصاً، بالله: الاستعانة بالله، في الله: في شرعه لا يتجاوزُه ولا يتعداه.

هذا هو معنى الحديث قطعاً أنَّ الله يُسَدِّدُ الوليَّ على هذا الوجه يكون عمله لله وبالله وفي الله.

المتن

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الشرح

دعوى أن ظاهر الحديث أن يكون الله نفس البصر والسمع واليد والرجل؛ هذا في الحديث ما يمنعه من وجهين.

المتن

الوجه الأول: أن الله تعالى قال "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه"، وقال: "ولئن سألتني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه". فأثبت عبداً ومعبوداً ومتقرباً ومتقرباً إليه، ومحياً ومحبوياً، وسائلاً ومستولاً، ومعطياً ومعطى، ومستعيذاً ومستعاذاً به، ومعيداً ومعاذاً.

الشرح

أثبت:

***عبداً:** لقوله: "**ولا يزال عبدي**" هذا العبد، ومعبوداً أنه لا يتصور عبودية إلا بعبادٍ ومعبود.

***مُتَقَرِّباً وَمُتَقَرَّباً إِلَيْهِ:** "يتقرب إلي" فهنا مُتَقَرَّبٌ وهو العبدُ و مُتَقَرِّبٌ إليه وهو الله. ***مُحِبّاً وَمُحَبَّباً:** "حتى أُحِبُّهُ"؛ والحابُّ غيرُ المحبوبِ بل هو بائِنٌ منه.

* **وسائلاً ومستولاً:** "ولئن سألتني" هذا سائلٌ ومستولٌ.

* **مُعْطِياً وَمُعْطَى:** "لأعطيته" هذا مُعْطِىٌّ وَمُعْطَى.

*مُسْتَعِيدًا وَمُسْتَعَاذًا بِهِ: "ولئن استعاذني" هذا مُسْتَعِيدٌ وَمُسْتَعَاذٌ بِهِ. لأنَّ المُسْتَعِيدَ لا بد أن يكون هناك مُسْتَعَاذٌ بِهِ.

*مُعِيدًا وَمُعَاذًا: لقوله "لأعيدنه".

المتن

فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر، وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفًا في الآخر أو جزءًا من أجزائه.

الشرح

وصفًا في الآخر في قوله "سمعته وبصره". أو جزءً من أجزائه في قوله "يده ورجله" يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها". فإذا كان هذا شيئين متباينين ؛ لا يمكن أن يكون أحدهما وصفًا في الآخر أو جزءً من أجزائه. فالحديث واضحٌ في دلالة على التباين بين الخالق والمخلوق.

المتن

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعًا وبصرًا ويدًا ورجلاً لمخلوق،....

الشرح

سمع الإنسان حادث، بصره، يده، رجلاه هل يُمكن أن يكون الخالق الأول الذي ليس قبله شيء؛ يُمكن ان يكون هذا الشيء الحادث!! هذا شيء مستحيل غاية الاستحالة. وماكان مستحيلاً فلا يمكن أن يكون ظاهر الحديث ولا ظاهر القرآن لأن المستحيل على اسمه مُمتنع الوجود. فهل يدل القرآن والسنة على شيء مستحيل لاسيما بما يتعلق بجناب الرب عزوجل-؟ الجواب: لا يمكن وبهذا علمنا من حيث اللفظ ومن حيث المعنى أن هذا الحديث ليس ظاهرة أن الله يكون سمع الولي أو بصره أو يده أو رجلاه.

المتن

ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال: إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر، سبحانه اللهم وبحمدك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الشرح

أقول هذا صحيح لا يمكن لأي عاقل أن يتصور أن يكون الله تعالى رجلاً أو أن يكون يدًا حاشاه وكلا. بل إن الإنسان يكاد لا ينطق به ولو على سبيل الفرض؛ وحينئذ يتبين أن دعواهم أن ظاهر الحديث؛ أن يكون الله رجل الولي ويده وسمعته وبصره؛ دعوى

باطلة لا تمس إلى الحقيقة بصلة لكن هم يوهون على العوام ويقولون: إن أهل السنة يُشنعون علينا التأويل وهم يتأولون؛ ونحن نقول هذا ليس بتأويل لأن هذا الظاهر الذي ادعيتوه لا يمكن أن يكون ظاهر الحديث لأنه معنى باطل والمعنى الباطل لا يمكن أن يكون ظاهر الكلام الحق.

المتن

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً، وباللغة تعالى استعانة، وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه، وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره، والله الحمد والمنة.

الشرح

أظن هذا واضحاً. فصار دعوى أن ظاهر الحديث أن الله يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله دعوى باطلة يُبطلها ما ذكرنا من الوجهين. وإذا بطلت تعين أن يكون معنى الحديث أن الله يسدده بسمعه وبصره ويده ورجله؛ بحيث يكون سمعه وبصره وبطشه بيده ومشيه برجله؛ كله لله وباللغة وفي الله. وهذا لاشك أنه غاية تامة لكل من أراد الوصول إلى ربه. ما أكثر ما يكون سمعنا لغير الله: قد نسمع أشياء نُصِت إليها لغير الله

ولكن خوفاً من هذا المخلوق أو خوفاً من أن يُعابَ علينا فيقالُ هذا الرجلُ لا يسمعُ إلى كلام هذا الواعِظِ مثلاً فلا يكونُ سمعنا لله. وكثيراً ما يكونُ سمعنا بغيرِ الله: أي أنَّ الإنسانَ يفتخِرُ بنفسِه ويستبدُّ بنفسِه ولا يلتقي بالآ لمعونَةِ الله تعالى له. وتارةً يكونُ سمعنا في غيرِ الله عزوجل - فنسمعُ الشيءَ المحرمَ واللَّهُو وتضيغُ أوقاتنا بذلك. لكن إذا سدَدَ اللهُ الإنسانَ وكان سمعُهُ لله وفي الله وباللَّه وكذلك بصرُهُ وكذلك بطشُهُ ومشيه حَصَلَ بذلك السعادةَ والتوفيقَ.